

مقالات رأي

وجه الحقيقة | إبراهيم شقلاوي حكومة إدريس... بين الدولة و الفوضى

أضواء البيان • 13-01-2026 • 5 دقائق قراءة



لم تعد الدولة بعد هذه الحرب، كما تشكلت وعاشت في وعي المجتمع منذ الاستقلال. فالدولة لم تسقط دفعة واحدة، بل تأكلت ببطء، حتى لحظة الانفجار التي كشفت هشاشتها البنيوية، وعجزها عن أداء وظيفتها الأساسية:

حماية المجتمع وتنظيم الحياة العامة. من هنا، لم يعد السؤال من يحكم السودان، بل أي دولة يمكن أن تحكم أصلاً، وبأي عقد اجتماعي.

في هذا السياق التاريخي الحرج، تكتسب عودة حكومة الدكتور كامل إدريس إلى مباشرة عملها من العاصمة القومية الخرطوم دلالة تتجاوز الإجراء الإداري أو الأبعاد السياسية. إنها عودة تقرأ باعتبارها محاولة لإعادة تعريف الدولة من موقع التجربة القاسية، لا من فضاء الخطاب. لذلك العودة للخرطوم ليست إعلاناً للانتصار، بل قبولاً بالمساءلة.

لقد أعادت الحرب المجتمع السوداني، قسراً، إلى ما وصفه "توماس هوبز" بحالة الطبيعة، حيث يغيب الاحتكار المشروع للعنف، وتنهار الحدود بين السلطة والفوضى، ويصبح الخوف هو القاعدة الناضجة للعلاقات. في تلك اللحظة، تسقط الشرعية تلقائياً، لأن الدولة التي لا توفر الأمن تفقد مبرر وجودها. غير أن الدرس الأهم الذي أنتجته الحرب لا يكمن في الخوف وحده، بل في التحول العميق في وعي المجتمع، إذ لم يعد المواطن مستعداً لمنح الطاعة مقابل وعود مؤجلة، ولا لقبول دولة تطلب الولاء دون أن تقدم الخدمات وتبسط الأمن وتشعر الناس بهيبتها ووجودها.

من هنا فإن عودة الحكومة إلى الخرطوم لا تعني استعادة المكان فقط، بل استعادة المعنى السياسي للدولة. إنها انتقال محفوف بالمخاطر من دولة غائبة إلى دولة حاضرة، ومن سلطة تحكم عن بعد إلى سلطة تختبر نفسها في الميدان. فالوجود في العاصمة، في ظل هشاشة أمنية واقتصادية واجتماعية، يضع الحكومة أمام اختبار يومي: إما أن تتحول الدولة إلى جهاز وظيفي يخدم الناس، أو أن تنكشف مرة أخرى عن عجزها.

هنا يبرز التحول المفاهيمي الأهم في مرحلة ما بعد الحرب: الانتقال من شرعية الشعارات إلى شرعية الأداء. فالحكومة لم تعد تقاس بخطابها، ولا بقدرتها على التعبئة، بل بمدى نجاحها في إعادة تشغيل المستشفيات، وضمان الكهرباء والمياه، وتأمين العمل، وإعادة المدارس والجامعات إلى دورها الطبيعي. إن وعود الحكومة بتحسين الخدمات، وخفض التضخم، ودعم المشروعات الإنتاجية الكبرى، لا تمثل برامج اقتصادية فحسب، بل تشكل أدوات سياسية لإعادة بناء الثقة المفقودة بين الدولة والمجتمع.

وفي هذا الموضع، نتوقف عند "جان جاك روسو" كمرجع لفهم لحظة التأسيس. فالعقد الاجتماعي الجديد الذي يتشكل بعد الحرب لا يقوم على الخوف وحده كما عند هوبز، بل على الإرادة العامة، أي على قبول المجتمع بأن تكون الدولة تعبيراً عن مصلحته المشتركة، لا جهازاً فوقياً يفرض نفسه بالقوة. وهذا ما يجعل مرحلة ما بعد الحرب لحظة سياسية بامتياز، حيث تنتقل الدولة من طلب الطاعة إلى القبول، ومن منطق السيطرة إلى منطق التبادل.

إعلان د. كامل إدريس أن العام 2026 سيكون عاماً للسلام، وربط ذلك ببرامج اقتصادية وتنموية، يكشف أن السلام لم يعد قيمة أخلاقية مجردة، بل شرطاً سياسياً واقتصادياً لبقاء الدولة. فالسلام لا يعني نهاية الصراع بقدر ما يعني إدارته بعقلانية، وربطه بسوق العمل، والإنتاج، والعدالة الاجتماعية. وهو تصور واقعي تؤكد تجارب الدول الخارجة من الحروب، حيث لم تستقر الأوضاع إلا حين تحول السلام إلى استقرار الاقتصاد.

غير أن أخطر ما قد يهدد هذا المسار هو إعادة إنتاج مركزية الدولة القديمة. فالدولة التي انهارت كانت دولة مركز بلا أطراف، وسلطة بلا توزيع عادل للموارد. وإذا عادت الحكومة إلى الخرطوم لتعيد إنتاج هذا النموذج، فإن العقد الاجتماعي الجديد سيولد مشوها، مهما حسنت النوايا. إن إعادة بناء الدولة تتطلب إعادة تعريف العلاقة بين المركز والهامش، وتمكين الحكومات المحلية بوصفها شريكا في العقد، لا مجرد أداة تنفيذية للجبايات.

إن وجود الحكومة في الخرطوم، كما قال الوالي احمد حمزة، يحمل رسالة سياسية واقتصادية وتنموية مفادها أن العاصمة تهيأت لاستقبال أبنائها، وأن الدولة قررت أن تواجه تحدياتها من قلبها لا من أطرافها. غير أن هذه الرسالة ستظل ناقصة ما لم يشعر المواطن بأن عودة الحكومة مرتبطة بوظيفتها: أن تكون حارسا للأمن، ومنظما للاقتصاد، وخداما للناس.

بحسب #وجه_الحقيقة فعودة الحكومة إلى الخرطوم ليست نهاية الأزمة، بل بدايتها الفعلية. إنها امتحان لقدرة الدولة من النجاة من الحرب إلى الاستفادة من دروسها، ومن سلطة تطلب الشرعية إلى مؤسسة تصنعها بالفعل اليومي. وهنا يتبدى معنى العنوان: حكومة إدريس... بين إعادة تأسيس الدولة والانزلاق إلى الفوضى. فإما أن تنجح هذه اللحظة في صياغة عقد اجتماعي جديد، أو تهدر الفرصة، ويترك السودان مرة أخرى معلقا بين دولة لم تكتمل، وفوضى قابلة للاستدامة.

دمتم بخير وعافية.

الثلاثاء 13 يناير 2026 م Shglawi55@gmail.com

<https://www.almuhit-adn-news.com/news/3176> وجه-الحقيقة-إبراهيم-شقلوي-حكومة-إدريس-بين-الدولة-و-الفوضى

© 2026 شبكة المحيط الإعلامية – جميع الحقوق محفوظة